الباب الثالث

الصوت العربى

وجدلية النثرى والشعرى

الفصل الأول

الصوت العربى

(١) الصوت المفرد ؛ خصائصه ووظيفته.

(٢) الصوت ، المقطع ، الكلمة ، الإيقاع.

(١)

للصوت أهميته خاصة فى الشعر العربى. فطاقاته الكامنة تنطلق مع غيرها لتشكيل البنية الصوتية للنص الشعرى. ولهذا فتحليل النص الشعرى العربى يضطر الباحث إلى معرفة خصائص الصوت نفسه، ومع الآخر المشابه أو المخالف، أو المماثل له. كذلك معرفة خصائصه مع حركات الإعراب الطويلة و القصيرة. لأن ذلك التعرف يفيد فى معرفة نوعية الحركة الصوتية التى تنشأ من الزحاف، والعلة والضرورة الشعرية. أى تغيير البنية الصوتية للحرف والمقطع والكلمة. فالجذر اللغوى و تحولاته الصوتية يفصح عن إمكانية تركيب الحروف والأصوات والحركات؛ فهناك ما لا يجىء من الكلمات، وهناك ما لا يتوالى من الأصوات. بل تفصح المعاجم اللغوية عن سقف لا تتجاوزه الكلمة العربية فى عدد حروفها و تراتب هذه الحروف. وهنا نلاحظ أن القافية فى الشعر العربى بحروفها المحصورة بين آخر ساكنين، وبحرف رويها وما يتلوه- أحياناً - ترتبط بإمكانيات الصوت العربى المفرد، والمركب فى علاقاته بما يليه من أصوات.

لهذا فتحديد الهجائية الصوتية العربية ومعرفة خصائص كل صوت تفيد كثيراً فى فهم النص العربى (شعراً و نثراً). لأن خصائص " النص " تأتى من طرق تركيب هذه الأصوات. وقد حدد " الخليل بن أحمد " فى كتاب " العين " الهجائية الصوتية. و اللغويون يعتمدون عليها بإجراء بعض التعديلات التى يرونها فى التصنيف المعاصر. و تتغير هذه التراتبات ، كما تختلف خصائص الصوت فى

هذه الجهود حسب قدرات الدارسين، ومدى ما يستخدمونه من أجهزة " الحاسب الآلى " فى هذا الدرس، وقد وصل هذا الحاسب إلى نتائج مذهلة، مع دقة، وتوضيح لم يسبق فى تاريخ العربية أو الدراسات الصوتية.

ومنذ أن حدد سيبويه (ت ١٨٠ هـ عن عمر يناهز اثنتين و ثلاثين عاماً) أصوات العربية بعد أستاذه الخليل موضحاً ومصححاً ما فات أستاذه ولم يزد التالون إلا قليلاً. فقد حدد فى " باب الإدغام " " عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها، ومجهورها ، وأحوال مجهورها، و مهموسها، واختلافها: " فأصل حروف العربية تسعة و عشرون حرفاً : هى : ء ، أ ، ه ، ع ، ح ، غ، خ ، ك ، ق ، س ، ج ، ش ، ى ، ل ، ر ، ن ، ط ، د ، ت ، ص ، ز ، س ، ظ ، ذ ، ث ، ف ، ب ، م ، و ..... وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هى فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهى كثيرة يؤخذ بها. وتستحسن فى القرآن والأشعار. وهى النون الخفيفة، والهمزة التى بين بين، والألف التى تمال إمالة شديدة، والشين التى كالجيم، والصاد التى تكون كالزاى. وألف التفخيم، يعنى بلغة أهل الحجاز، فى قولهم: الصلاة و الزكاة والحياة. وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة فى لغة من ترتضى عربيته. ولا تستحسن فى قراءة القرآن ولا فى الشعر. وهى : الكاف التى بين الجيم والكاف، والجيم التى (كالكاف، والجيم التى كالشين)، والضاد الضعيفة، والصاد التى كالسين، والطاء التى كالتاء والظاء التى كالثاء، والباء التى كالفاء. وهذه

الحروف التى تمتها اثنين وأربعين، جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تبين إلا بالمشافهة ."(١)

ويتضح هنا- من كلام سيبويه- أن أصل الصوت العربى، هو الصوت واضح المخرج، غير المختلط بغيره من الأصوات. وهذا ما جعله يضع الحروف الفرعية فى فرعين: أولهما مقبول، والثانى غير مقبول فى القرآن الكريم والشعر العربى. كما أنه يشترط المشافهة. وهى تعنى عنده التلفظ بالحرف. فيكون تلاوة و قراءة و ترتيلاً فى القرآن الكريم. و يكون إنشاد أو غناء بالشعر العربى. وكلها شروط صوتية جوهرية. لأن ضبط الصوت ونصف الصوت وربع الصوت لا يتأتى فى الكتابة العربية. إنما يظهر بالتلفظ والقول.

لذا نلاحظ أن التراث الشفهى: الفصيح والشعبى، يقوم على التسليم والتسلم فى سلسلة من الرواة، كما أن تغليب لغة قريش مع الإسلام، حرر العربية من كثير من التداخلات الصوتية، التى اكتسبتها اللغة العربية من لهجاتها أو من لهجات لغات أخرى جوارها فى الجغرافيا أو التاريخ، كالسامية والهند أوروبية.

ونجد أنه من الأهمية بمكان أن نوضح ما أشار إليه سيبويه فى هذا السياق، عند تخصيصه الكلام على القرآن الكريم والشعر فقط. إذ يجد فيهما ما يغنى عن الحديث، عن لهجات وحوارات يومية، أو خطبة أو رسالة. فقد تشرب سيبويه (المولى) لغته بمعاشرة أهلها ودارسيها أوائل العصر العباسى الأول، بعد أن جمع اللغويون والرواة- طوال العصر الأموى- كل ما يمكن أن تصل إليه معرفتهم. وأهمية صوتيات القرآن الكريم، والشعر فى تراثنا العربى الإسلامى،

قد خلقت النموذج الصوتى الذى يمكن أن نحتكم إليه عند خلافنا فى النطق أو النحو أو التركيب الأسلوبى، أو الوزن الصرفى والشعرى. لأن استفادة الدارسين فى العصر العباسى كانت من السماع والقياس والمقارنة فى المقام الأول. وهذا ما حدا ببعض الدارسين لأن يؤلفوا كتبهم فى " الغريب " و" الدخيل " ثم فى " الطبقات " و " الإعجاز " كما بينا من قبل. وهنا لابد ان نستفيد مما وضعه سيبويه من قواعد، وخصائص لنتعرف على الإمكانات الصوتية للصوت العربى فى اللغة التى تضع نصب عينيها نماذج قرآنية وشعرية فى المقام الأول.

فإذا ما انتقلنا إلى المخرج الصوتى ، وهو الذى يعطى للصوت توصيفه، وجدنا سيبويه قد حدد " لحروف العربية ستة عشر مخرجاً ، فللحلق منها ثلاثة، مخرج: الهمزة و الهاء ، والألف ، ومن أواسط الحلق مخرج العين والحاء. وأدناها مخرجاً من الفم : الغين والخاء ، ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً. ومما يليه من الحنك (الأعلى) مخرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء. ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون. ومن مخرج النون، غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء. ومما بين طرف

اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء، ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج: الزاى، والسين، والصاد، ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الفاء. ومما بين الشفتين مخرج: الباء، والميم، والواو.../ ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة."(٢).

ولا شك في أن تحديد طبيعة الصوت وخصائصه ومكان وطريقة مخرجه، تساعد فى ضبط اللسان العربى، لأهل اللغات الأخرى، حتى لا تختلط المخارج والأصوات فتختلط الدلالات. كما ان نطق الصوت صحيحاً يكشف الموزون من الكلام من غير الموزون بالإضافة إلى أن الشعر يستفيد من جمال الأداء والنطق السليم فى تنغيم الحرف ونبره بطريقة تضيف للوزن جمالاً ايقاعياً لا يتوفر عند سؤ النطق.

لأن هذا الصوت جزء جوهرى فى تشكيل البنية الصرفية. و" مما يدل على ارتباط الصوت ارتباطاً وثيقاً بالبنية الصرفية. أن قيم تأليف الكلمات تعتمد على قيم الأصوات ذاتها. فترتيب الحروف و تأليف الكلمات من خلال الأصوات له قواعد ، تحكمه حيث لا يسمح فى صيغة ما بتجاور الهمزات أو الباءات مثلاً تجاوراً ترفضه طبيعة تأليف ونظم الكلمات اللغوية."(٣).

وهذا ما يتضح عند التعرف على الجذور اللغوية، ودورانها، وتجاور حروفها. إذ نخرج بنتائج مذهلة. كما يتضح من الدراسات المهمة التى قام بها " على حلمى " بطريقة إحصائية لجذور معجم الصحاح ولسان العرب، وتاج العروس، والقرآن الكريم.

وسوف نعرض لنتائج هذه الدراسات المهمة. إذ من هذه الدراسات نكتشف أسباب حرص العربية على نوع محدد من الجذور اللغوية، وشيوع أصوات محددة في لغتها بعامة، وفي شعرها وقوافي شعرها بخاصة. بل يفيد ذلك عند تفهم التركيب والمعجم لدى أي شاعر بخاصة. صحيح: أن ذلك من اختصاص علم اللغة. إلا أنه الآن سمة رئيسية في الدراسات الأسلوبية والبنيوية واللغوية، والإيقاعية.

ولهذه الأسباب مجتمعة كان تعرض هذه الدراسة لهذه الجوانب الصوتية المتدرجة.

وقبل أن نترك الحديث عن الصوت، نورد توصيف سيبويه لخصائص الحروف العربية، لأن ذلك يرتبط في المقام الأول : بفهم نظام المقطع الصوتي العربي، وعلاقته- عند النطق - بظاهرات النبر، والتركيب في الشعر بخاصة. وقد حدد " سيبويه " هذه الخصائص في : الجهر والهمس، والشدة والرخوة، والانحراف والتكرار، واللين، والإطباق والانحراف: "فأما المجهورة ف: ع، أ، ع، غ ، ق ، ج ، ي ، ض ، ل ، ن ، ر ، ط ، د ، ز ، ظ ، ذ ، ب ، م ، و، فذلك تسعة عشر حرفاً.

وأما المهموسه ف : هـ ، ح ، خ ، ك ، ش ، س ، ت ، ص ، ث ، ف، فذلك عشرة أحرف."(٤).

وقد عرف إبراهيم أنيس الصوت المجهور بأنه الصوت " الذى يهتز معه الوتران الصوتيان "... والمهموس هو الذى لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا

يسمع لهما رنين حين النطق به... و لكن المراد بهمس الصوت هو صمت الوترين الصوتيين معه، رغم أن الهواء في أثناء اندفاعه/من الحلق إلى الفم يحدث ذبذبات .. يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السمع."(٥). وقد زاوجت بين مقولتي إبراهيم أنيس و سيبويه لأن تعريف أنيس يعتمد على الوترين الصوتيين ولم يكن عصر سيبويه يعرفهما كمعرفتنا الآن.

ويرى سيبويه " أن الحرف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجرى فيه. وهو : ء ، ق ، ك ، ج ، ط ، ت ، د ، ب. وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك. ومنها الرخوة وهى : هـ ، ح ، غ ، خ ، ش / ص ، ض، ز ، س ، ظ ، ث ، ذ ، ف. وذلك إذا قلت الطس وانقض، وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت. وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء(٦).

وقد سمى الحرف الشديد، بالانفجارى كما أسمى الرخو بالحرف الاحتكاكى كما فى الدراسات المعاصرة حيث ينحبس "مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظة من الزمن، بعدها تنفصل الشفتان انفصالاً فجائياً. ويحدث النفس المنحبس صوتاً انفجارياً.../... أما الأصوات الرخوة فعند النطق بها لا ينحبس الهواء انحباساً محكماً، وإنما يكتفى بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقا جداً. ويترتب على ضيق المجرى أن النفس فى أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعاً من الصفير أو الحفيف... وهذه الأصوات يسميها المحدثون بالأصوات الاحتكاكية.(٧).

ونلاحظ انه تزداد دقة التعريف و التحديد ، بزيادة الدرس و تقدم أساليبه. وهنا ليس يعني التقدم أنه نهائي أيضاً. فإذا خرجت لنا أجهزة رصد ودرس جديدة فى علم التشريح أو علم وظائف الأعضاء أو علوم الفيزياء سوف نكتشف من خلالها شيئاً جديداً، لم نلتفت إليه حتى الأن خاصة وأن عملية إنتاج الصوت البشرى عملية معقدة.

ويكمل سيبويه حديثه عن الحروف العربية فيقول : (ومنها المنحرف وهو شديد، جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرّخوة، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه. وليس يخرج الصوت من موضع اللام. و لكن من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك. ومنها حرف شديد يجرى معه الصوت (لأن ذلك الصوت عنه) من، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف لأنك لو أمسكت بأنفك، لم يجر معه الصوت. وهو النون، وكذلك الميم. ومنها (المكرر) وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرّخوة، ولم يكرر لم يجر الصوت فيه. وهو الراء. ومنها (اللينة) وهى الواو والياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك : وأى. والواو . وإن شئت أجريت الصوت ومددت. ومنها (الهاوى) وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من/ اتساع مخرج الياء والواو. لأنك قد تضم شفتيك فى الواو وترفع الياء لسانك قبل الحنك وهى الألف . ومنها (المطبقة) و(المنفتحة) فأما المطبقة

فالصاد و الضاد و الطاء و الظاء- والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى... وأما الدال والزاى ونحوهما، فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن... ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها."(٨).

ورغم أن سيبويه قد أورد هذه الأوصاف والخصائص، في الحرف، لتعلم طبيعة الإدغام، فإنه يفيد أيضاً في معرفة الإعلال و الإبدال. ونتفهم من خلالها، لماذا تسود أصوات لدى شاعر دون الآخر، سواء في حروفه أو في مفرداته. كما أن القدرات الصوتية تلعب دوراً مهماً في عمليتي التأليف والإنشاد. فلا يأتي الشاعر بمفردات لا يتمكن من نطق بعض حروفها أمام الجمهور. و يتكون لدى هذا الشاعر- بتكرار هذه العملية- ذوق صوتي خاص يرتبط بقدراته على النطق والإنشاد. وتكشف القافية بحروف رويها هذه القدرات، كما تكشف تأكيد الشاعر على حروف بعينيها تغلب عليه في تكوين حرف الروى، بالضبط، كما تكشف استسهال الشاعر (أو تعود الشاعر) لصيغ صرفية، في تفعيلاته وقوافيه.

وقد سمعنا كثيراً عن عيوب النطق لدى العرب وعرفنا لماذا يخطب أحد الخطباء الخطبة الطويلة دون أن يأتي بحرف الراء فيها. ونعرف لماذا لم يركب العرب قافية الثاء أو الزاى أو الصاد كثيراً، على سبيل المثال.

وهذا أمر مهم في تفهم معجم العربية، من ناحية، ومعجم الشاعر من ناحية أخرى. كذلك يمكن أن نتوقع سيادة أحد الحروف في العربية، أو أحد الجذور

اللغوية في العربية أو في لغة الشاعر على السواء. فنعرف مثلاً أن حرف الراء أقوى الحروف العربية وأكثرها تردداً في الجذور الثلاثية، يليه حرف النون، والواو، والميم. وهنا نستطيع أن نفهم سر تكرار هذه الحروف بالذات في القوافي الشعرية العربية.

ونورد هنا الجدول الذي استخرجه " على حلمي موسى " من استقصاء المادة اللغوية في معجم لسان العرب، وهو يبين فيه نسبة تكرار الحرف في الجذور الثلاثية (أول الجذر ووسطه وآخره) كما يبين نسبة هذا التكرار. كما هو موضح في الجدول وما يتلوه من جداول تبين امكانات ورود الحرف مع غيره من حروف العربية، وبيان ما لا يجيء منها ، بطريقة يقارن فيها " على حلمي موسى "بين ما أخرجه الحاسب الآلي من نتائج وبين ما أقره" ابن منظور" صاحب لسان العرب وغيره من العلماء.

وقد اعتمد البحث في إيراد هذه النتائج على أبحاث هذا المتخصص الصبور."(٩). فقد أخضع المادة الصوتية للإحصاء الآلي وخرج بملاحظات وقواعد وقوانين تحسم قضايا صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية كثيراً ما كانت محل اجتهاد ذوقي أو خبرة لغوية لدى الباحث المتخصص في هذا المجال.

وقد أخرج نتائجه في صورة جداول إحصائية اهتم فيها بالجذر اللغوي. فبدأ بتردد حروف الجذور الثلاثية، فوجد نتائج محددة لتكرار كل صوت عربي من هذه الجذور الثلاثية في الموقع الأول من الكلمة أو الموقع الثاني أو الموقع الثالث.

وجمع تردد هذه المواقع وأخرج نسبة مئوية لتردد كل صوت ابتداءً من الهمزة إلى الياء. كما يتضح من الجدول رقم(١).

ونجد من بين النتائج التى توصل إليها هذا الباحث: أن حرف الراء هو أعلى الأصوات تردداً فى حروف الجذور الثلاثية بنسبة (١٤ر٦ ٪) يليه حرف النون إذ يتردد بنسبة (٧٨٧ر٥ ٪) يليه الميم (٥١٦ ر٥ ٪) يليه اللام (٢٥١ ر٥ ٪) يليه الباء (١٢٤ ر٥ ٪) يليه العين (٤٢٥ ر٤ ٪) يليه الفاء (٢٨٣ ر٤ ٪) يليه الواو (٢٢٧ ر٤ ٪) يليه الدال (١٨١ ر ٤ ٪) يليه القاف (٠٠٧ ر٤ ٪). بينما تأخذ الظاء أقل نسب التردد إذ تتردد بنسبة (٧٦٠ ر ٪).

ولا عجب بعد ذلك أن نجد القوافى العربية تستخدم حرف الروى بنسبة عالية من هذه الحروف المشار إليها. وأقل نسبة أيضاً مع الظاء كما أورد الإحصاء السابق.

ويكمل الإحصاء متابعة الأصوات العربية فى تتابعها فيما بينها، أى كيفية تتابع الأصوات العربية بتتابع الحروف الهجائية. فقد وضع الباحث الحروف (الأصوات) العربية كلها فى تتابعها داخل الهجائية المعجمية على محورين رأسى وأفقى وبدأ من حرف الهمزة كنقطة التقاء المحورين الرأسى والأفقى . ورصد بالأرقام عدد المرات التى يتقابل فيها كل صوت على حدة فى المحور الرأسى مروراً بكل الأصوات على المحور الأفقى. وخرج بنتائج ضمنها الجدول رقم(٢) حيث ظهرت التقابلات والفراغات الدالة على أن هذين الصوتين لا يلتقيان متتابعين.

ويبين الجدول أن الجذور الثلاثية لا يلتقى فيها همزتان من أصل الكلمة. كما لا تلتقى الهمزة مع العين. أما صوت الباء فلا يتتابع مع الفاء. والتاء لا يتتابع مع الصاد والظاء. وصوت الثاء لايتتابع مع الذال، والزاى والسين، والشين والصاد والضاد والظاء. وصوت الحاء فلا يتتابع مع الخاء، والغين. وصوت الخاء لا يتتابع مع نفسه أو مع الحاء، والغين والكاف، والهاء. وصوت الدال لايتتابع مع الضاد. وصوت الذال لا يتتابع مع الباء والتاء والراء والزاى والسين والشين والصاد والضاد والظاء، والعين. وصوت الزاى لا يتتابع مع التاء، والذال والسين والشين والصاد والضاد والظاء. وصوت السين لا يتتابع مع التاء، والراء والسين والشين والصاد والضاد والطاء. وصوت الشين لا يتتابع مع الضاد فقط. وصوت الصاد لايتتابع مع التاء والراء والزاى والسين والضاد والظاء. وصوت الضاد لا يتتابع مع الذال والزاى والسين والشين. وصوت الطاء لا يتتابع مع الذال والصاد والضاد والظاء. وصوت الظاء لا يتتابع مع التاء والثاء والحاء والخاء والدال والراء والزاى والسين والشين والصاد والضاد والغين والقاف. وصوت العين لا يتتابع مع الهمزة والحاء والخاء والغين. وصوت الغين لا يتتابع الهمزة والحاء والخاء والعين والكاف. وصوت الفاء لا يتتابع مع الباء فقط. وصوت القاف لا يتتابع مع الجيم والكاف. وصوت الكاف لا يتتابع مع الطاء والقاف. وصوت الهاء لا يتتابع مع الحاء فقط.

أما أصوات الجيم، والراء، واللام، والميم والنون، والواو، والياء فهى تتابع مع نفسها ومع غيرها بلا استثناء واحد. وواضح أن الأصوات المتنافرة لا تظهر متتابعة مع بعضها، إما لصعوبة المخرج مع مخرج الصوت السابق أو اللاحق لها. وإما لصعوبة أن يقترن الصوت بآخر فيكونان مقطعاً صوتياً متنافراً فى السمع ولهذا بنت الذائقة الصوتية العربية جذورها اللغوية فى شرط الاستساغة واستبعدت المتنافر والمتناكر من الأصوات الأمر الذى جعل الاشتقاق مبنياً على قاعدة صوتية مستساغة زادت من تناسق وتساوق الأصوات عند الاشتقاق. وقد استفاد الشاعر العربى من هذا القانون الصوتى فبعد عما هو مستكره السمع، وساعدته البنية الصوتية للعربية ابتداء من الصوت المفرد إلى المقطع إلى الكلمة.

ولهذا فنماذج التنافر والتناكر الصوتى لا تجد نماذجها إلا فى أمثلة قليلة جداً، صنع بعضها من أجل الدرس والشرح. فقد تكلفت البنية الصوتية منذ النشأة والتكون باستبعاد المستكره والمتنافر والمتناكر من الأصوات العربية. وما تبقى من استخدامات قليلة كانت مرتبطة بقدرة المتكلم أو المنشىء على استخدام جهازه النطقى ومدى تحكمه فى صياغة أصواته.

ولهذا نأتى بالجدولين (١) ، (٢) للمتابعة و المقارنة لمن أراد أن يتابع النقاء الصوتى العربى بالإحصاء العددى.

ويفيد هذان الجدولان فى دراسة إمكانية تكرار الأصوات داخل الكلمة والجملة والنص كله. كما يفيد فى دراسة ظاهرة التطريز الصوتى وغيرها من ظواهر البديع الصوتى، والألاعيب الصوتية التى استخدمها شعراء العصرين المملوكى

والعثماني فهما يوضحان مدى انتشار مفردات بعينها في معجم شاعر من الشعراء، ومدى انتشار أصوات ما في قاموس عربي للغة العربية. الأمر الذي يوضح أن قانون السهولة والتيسير والبعد عن الصعوبة والتعقيد والتنافر والتناكر الصوتي، هما القانونان اللذان يقودان الأصوات اللغوية في الكلام اليومي أو في الشعر والنثر الفني على السواء.

بل إن البديع الصوتي كله يؤكد هذه النتائج الاحصائية. إذ لا يمكن أن نجد تكراراً في السجع أو في التجنيس أو غيرهما لا يتفق مع طبيعة الجذور الصوتية العربية على سبيل المثال. ويقف أبو العلاء المعري في لزومه ما لا يلزم وحده في هذا السياق بما اخترعه من تصويت شعري صعب ومعقد.

جدول رقم ١

تردد حروف الجذور الثلاثية

جدول رقم ١

تردد حروف الجذور الثلاثية

	موقع أول	موقع ثان	موقع ثالث	المجموع	النسبة المئوية
ا	٢٥٢	١٧٠	٢١١	٦٣٣	٢٣,٢٢٧٪
ب	٣٠١	٣٦٤	٣٤٠	١٠٠٥	٥,١٢٤
ت	١٥٥	٢١٠	١٧٩	٥٤٤	٢,٧٧٤
ث	١٢٢	١٤٩	١٤٥	٤١٦	٢,١٢١
ج	٢٥٧	١٩٣	٢٥٤	٧٠٤	٣,٥٨٩
ح	٢٨١	٢١٢	٢٢٦	٧١٩	٣,٦٦٦
خ	٢٤١	١٦١	١٦٢	٥٦٤	٢,٨٧٥
د	٢٢٦	٢٦٢	٢٩٢	٨٢٠	٤,١٨١
ذ	١٠٨	١٣١	٧٧	٣١٦	١,٦١١
ر	٢٤٢	٤٢٣	٤٤٠	١٢٠٥	٦,١٤
ز	١٩٢	١٧٤	١٨٩	٥٥٥	٢,٨٣٠
س	٢٦٤	٢٠٩	٢٥٦	٧٢٩	٣,٧١٧
ش	٢٨٩	١٧٦	١٧٢	٦٣٧	٣,٢٤٨
ص	١٨٤	١٣٢	١٦١	٤٧٧	٢,٤٣٢
ض	٩٥٢	١١١	٩٨	٣٦١	١,٨٤١
ط	١٧١	١٨٢	٢١٤	٥٦٧	٢,٨٩١
ظ	٣٥	٥٠	٦٤	١٤٩	٠,٧٦٠
ع	٢٦٩	٢٥٩	٢٩٠	٨٦٨	٤,٤٢٥
غ	١٦٣	١٤٠	١٠٧	٤١٠	٢,٠٩٠
ف	٢٦٠	٢٨٠	٣٠٠	٨٤٠	٤,٢٨٣
ق	٢٧٥	٢٣٩	٢٧٢	٧٨٦	٤,٠٠٧
ك	٢٦٤	١٩٣	١٦٩	٦٢٦	٣,١٩٢
ل	٢٧٦	٣٥٣	٤٠١	١٠٣٠	٥,٢٥١
م	٣٠٩	٣٤٤	٤٢٩	١٠٨٢	٥,٥١٦
ن	٢٩٧	٣١٦	٤٢٢	١١٣٥	٥,٧٨٧
هـ	٢٤٦	٢٤٧	١٤٢	٦٣٥	٣,٢٣٧
و	٣٥٦	٢٧٣		٨٢٩	٤,٢٢٧
ي	٦١	٣٨٥		٤٤٦	٢,٢٧٤
أ			٥٢٦	٥٢٦	٢,٦٨٢

يضاف إلى ذلك أن الصوت المفرد يمكن أن يأخذ عدة أوضاع فى نبر الكلمة حسب الصوت المتتابع معه. " وكل مرة يأخذ فيها الصوت هذه الصفة يسمى فونيماً. ولذلك عرف الفونيم على أنه أصغر وحدة فى اللغة غير قابلة للتجزىء، وقادرة على تغيير المعنى"(١٠).

واستكمالاً للاستفادة من الدراسة المعلوماتية نستعين بمنجز الكمبيوتر السابق، فى تفهم مجموعة من القوانين والملاحظات الصوتية عن أكثر المواضع تكراراً، وتتابع حروف الشفة والحلق لبيان كيفية التناغم و التنافر بين أصواتهما فى مجموعات صوتية. وسوف ننقل عن حلمى موسى هذه الجداول لأهميتها فى تفهم فونيمات ومورفيمات النص الشعرى ابتداءً من المستوى الصوتى الذى يشكل البنية الهيكلية فى بناء النص الشعرى. إذ الدلالة والمجاز يرتبطان بالتركيب اللغوى بين الكلمات المفردات. وهذا التركيب هو الكاشف الحقيقى لطبيعة الفونيم.

ويتضح لنا من هذا الجدول أن :

١ - حرف " الراء " أقوى الحروف تردداً فى الجذور الثلاثية إذ : ورد (١٢٠٥) مرة فى المواقع الثلاثية.

٢ - حرف " النون " أكثر الحروف تردداً فى الموقع الأول (٣٩٧ مرة) يليه حرف " الواو " (٣٥٦ مرة) ثم حرف " الراء " (٣٤٢ مرة).

٣ - حرف " الواو " أكثر الحروف تردداً فى الموقع الثانى (٤٧٣ مرة) يليه حرف "الراء " (٤٢٣ مرة).

٤ - حرف - ألف المـد " أكثر الحروف تردداً فى الموقـع الثالـث (٢٢٦ مرة) يليه حرف " الراء " (٤٤٠ مرة) ثم حرف " الميم " (٤٢٩ مرة).

* الجدول الأول: جدول ترتيب الجذور بين الكمبيوتر ولسان العرب.

* الجدول الثانى: وهو عبارة عن جداول التتابع لمجموعات معينة من الحروف: مثل مجموعة أحرف الشفة : وهى " ب - ف - م - ومجموعة أحرف الحلق : وهـى: " أ ، ح ، خ ، ع ، غ ، ه ." وكذلـك مجموعـة " ج - غ - ق - ك "، ومجموعة: "ذ - ز - س ، ص ".

تتابع أحرف الشفة فى الجذور الثلاثية

الحرف التالي / الحرف	ب	ف	م
ب	٣٢	٥	٦
ف		٢٢	٤
م	١	١	٢٦

تتابع أحرف الملف

الحرف / الحرف التالي	أ	ح	خ	ع	غ	هـ
أ	٠	٦	٦	٠	١	٨
ح	١	١٩	٠	١	٠	١
خ	٠	٠	٢١	٨	٠	٠
ع	٠	٠	٠	٢٢	٠	١٣
غ	٠	٠	٠	٠	١٠	٣
هـ	٥	٠	١	٧	٢	٧

تتابع المجموعة (ج - غ - ق - ك)

الحرف / الحرف التالي	ج	غ	ق	ك
ج	٢٣	١	١	١
غ	٢	١٠	٣	٠
ق	٠	٢	٢٩	٠
ك	١	٢	٠	١٩

تتابع المجموعة (ذ - ز - س - ص)

الحرف / الحرف التالي	ذ	ز	س	ص
ذ	١٦	٠	٠	٠
ز	٠	٢٩	٠	٠
س	٤	٠	٢٠	٠
ص	١	٠	٠	١٩

وتمتاز هذه المجموعات الأربع بأن كلاً منها نادراً ما تتابع مع بعضها. وإن كان الحرف يتتابع مع نفسه باستثناء "الهمزة" حرف لا يتتابع مع نفسه. وقد أشار " أبن منظور " فى مقدمة معجم لسان العرب إلى اختلاف الحروف عن بعضها من حيث قوة ترددها ، و قام بتقسيم الحروف العربية إلى ثلاثة أقسام فوضع فى القسم الأول : سبعة أحرف : هى : أقوى الحروف تردداً، وفى القسم الثانى أحد عشر حرفاً متوسطة التردد، وفى الثالث عشرة حروف ضعيفة التردد، وأهمل ألف المد من الترتيب.

وتم ترتيب الحروف الواردة لجميع جذور لسان العرب لأقسام مماثلة فى إحصائيات الكومبيوتر.

ويتضح من المفارقات بين " ابن منظور " وإحصائيات الكومبيوتر ما يلى :

١ - حرف الراء أقوى الحروف العربية فى الجذور. وضعه ابن منظور فى الفئة الثانية.

٢ - حرفا الهمزة و الياء يظهران فى الفئة الثالثة فى نتائج الكومبيوتر بينما يظهران فى الفئة الأولى فى تقسيم " ابن منظور.

الجدول الثالث :

يوضح تتابع الحروف فى الجذور الثلاثية البالغ عددها (٦٥٣٨ جذراً) وبهذا الجدول (٨١٢) مربعاً تمثل تتابع الحروف ، منها (٨٤) مربعاً خالياً أى أن تتابع الحروف فيها لا يرد بالمرة فى الجذور الثلاثية مثل : " نص – ذت – سز – ضى – ظق – كط "

جدول رقم (٣)

تتابع الحروف في الجذور الثلاثية

الحروف الشمالية

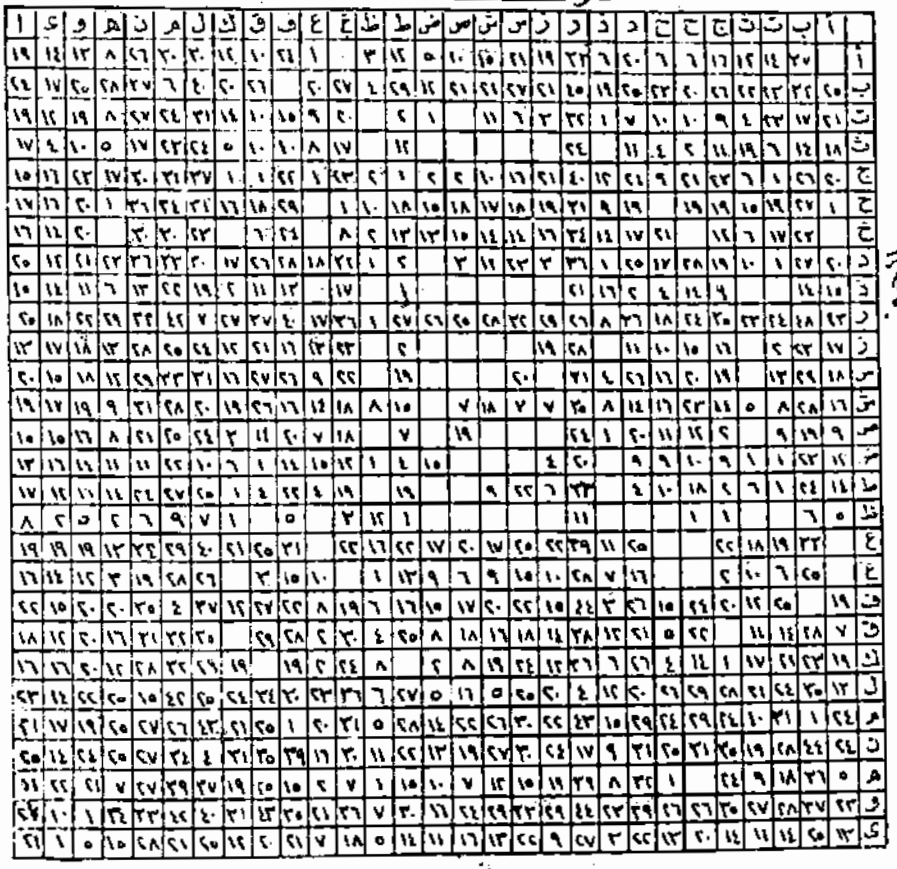

(٢)

هـذا، ويشـكل الصـوت مضـافاً إليـه حركتـه الصرفيـة أو النحويـ (المقطع). ولهذا يقصر المقطع ويتوسط ويطول حسب ما يتعلق به من حركات أو أصوات أخرى فنجد لدينا خمسة أنواع في لغتنا العربيـة. قد تنتهي بحرك فيسمع المقطع مفتوحاً، وقد تنتهي بسكون فيسمى مقطعاً مغلقاً. ويقع النبر على المقطع المفتوح والمغلق. والمقطع الأول من الخمسة السابقة (حرف وحركة) والثاني: (حرف وحركة وحرف ساكن)، والثالث (حرف وحركة قصيرة وحرف ساكن) والرابـع: (حرف وحركة طويلة وحرف ساكن)، والخامس: (حـرف وحركة قصيرة يتلوها حرفـان) . ويشـيع فـي العربيـة المقاطع الثلاثة الأولى ويقل استخدام الاثنين الأخريين.

لهذا كان (الصوت و المقطع) مقياساً مهماً لفهـم مـا يحدث فـي العروض من زحافات وعلة. وما يحدث في القافيـة قبل حرف الروى وبعده، بل يمكن أن نفسر بعض الضـرورات الشعرية بهذا المقياس الصوتـي. ذلك أن العروض يقيس الصوت وحركته (المقطع) المفتوح أو المغلق، بالسبب والوتد، بدون العناية بحركة الصوت وهذا ما يجعل العروض الخليلي عروضاً تجريديا فليست لديه قيـ كيفية في الحكم على الصوت، وليس لديه عوائق نطق أو تفضيل حرف على حرف (أو صوت أو مقطع). فهو علم موضوعـي، لاذوقـي، حتى أن الرخص التي أعطاها للشاعر ، لم يقدمها من فراغ، ولكن من استقراء الشعر العربي السابق على عصر الخليل.

ونلاحظ هنا كما لاحظ الجرجانى: أن نظم الحروف (والمقاطع) هو تواليها فى النطق، وليس نظمها بمقتضى معنى. ولا الناظم لها بمقتف فى ذلك رسماً من العقل اقتضى ان يتحرى فى نظمه لها ما تحراه(١١)" لأن العلاقة بين اللفظ والدلالة اعتباطية التكوين. ويكون النظر إلى هذه الأصوات أو المقاطع من زاوية تناغم هذه الأصوات فيما بينهما ثم توافقها مع دلالتها فى سياق محدد، داخل جملة نثرية أو شعرية على السواء. وهو ما نطلق عليه " الفصاحة ".

واللفظ المفرد أو المركب، أو الكلمة بمفردها أو مع جاراتها حسب ما يعتقد" عبد القاهر الجرجانى" فى نظرية النظم. حسب ما لخصه الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى بداية " أسرار البلاغة " بقوله: " والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"(١٢). وهذه الخصوصية هى التى تفصح عن أسلوب الكاتب على كل مستوياته.

ويمثل هذا التركيب أو التأليف ايقاعاً. وليس لهذا الإيقاع موجب للتواجد، ولا وجود له إلا بوجود النسبة بين ماله من المقادير، والقيم الحركية. ذلك الإيقاع إذا ما أسندنا إليه وظيفة أصبح ميزانا. ووظيفته نظم الحركة الصوتية واللغوية والبدنية على نسقه، واتخاذه مثالا ينسج على منواله. فالايقاع هو الميزان و الميزان هو الايقاع. والعلاقة بينهما كعلاقة ما بين العين والبصر..."(١٣).

ولهذا، فكل تحليل لنص شعرى، يبدأ من تحليل البنية الصوتية، التى تشمل (الصوت/ المقطع)، (الكلمة/ التركيب)، (الوزن/ الايقاع) ذلك أن المستوى

الصوتى هو بداية تحليل البنية الصوتية للنص الشعرى، ونحن ندرك أن البنية الصوتية غير منفصلة عن غيرها من البنى الدلالية، والمجازية و الرمزية أى تتشكل موسيقى الشعر من علاقات البنية الصوتية للنص الشعرى، مع غيرها من البنى المجازية والرمزية، والدلالية، والفنية.

إحالات الفصل الأول

(١) سيبويه ، الكتاب ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون ، ج ٤ الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي بالقاهرة و دار الرفاعي بالرياض، ص ٤٣١، ص ٤٣٢.

(٢) سيبويه ، الكتاب ، ص ٤٣٣ ، ص ٤٣٤.

(٣) أحمد كشك ، من وظائف الصوت اللغوى ، محاولة لفهم صرفي ونحوى و دلالى ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣ ، ص ١٢.

(٤) سيبويه ، السابق ، ٤٣٤.

(٥) إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٠ ، ص ٢١.

(٦) سيبويه ، السابق ، ص ٤٣٤ ، ص ٤٣٥.

(٧) إبرهيم أنيس ، السابق ، ص ٢٣ ، ص ٢٤.

(٨) سيبويه ، السابق ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦.

(٩) على حلمى موسى : انظر له : نشر جامعة الكويت :

- دراسة إحصائية لجذور معجم "الصحاح" باستخدام الكومبيوتر ، ١٩٧٣
- إحصائيات جذور معجم " لسان العرب " باستخدام الكومبيوتر ، ١٩٧٢م
- دراسة احصائية لجذور معجم " تاج العروس " باستخدام الكومبيوتر ١٩٧٣.

- أما الجداول والاحصاءات الواردة في هذا الجزء من الفصل فهي من مقالة: الالات الحاسبة الالكترونية في دراسة ألفاظ القرآن الكريم ، مجلة عالم الفكر ، السنة (١١) عدد (٤) ، ١٩٨٢. و قد اعتمد عليه البحث في كل ما ورد من جداول.

(١٠) محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ، الحلقة الأولى ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠. ص ٢٧.

(١١) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، قرأه و علق عليه محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي القاهرة ، بدون. ص ٤٩.

(١٢) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، قرأه و علق عليه ، محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ ، ص ٤.

(١٣) محمد العياشي ، نظرية إيقاع الشعر العربي ، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٧٦ ، ص ٩٠.